أشعب بن جبير

أعـــلام الظرفـــاء

أشعب بن جبير

هو أشعب بن جبير واسمه شعيب وكنيته أبو العلاء كان يقال لأمه أم الخلندج وقيل: بل أم جميل وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر واسمها حميدة، عرف بالطامع، ويقال له ابن أم حميدة، ويكنى أبا العلاء وأبا القاسم: ظريف، من أهل المدينة. كان مولى لعبد الله بن الزبير. تأدب وروى الحديث، وكان يجيد الغناء.

وكان أبوه خرج مع المختار بن أبي عبيد وأسره مصعب فضرب عنقه صبراً وقال تخرج علي وأنت مولاي ونشأ أشعب بالمدينة في دور آل أبي طالب وتولت تربيته وكفلته عائشة بنت عثمان بن عفان.

وحكي عنه أنه حكى عن أمه أنها زنت فحلقت وطيف بها وكانت تنادي على نفسها من رآني فلا يزنين فقالت لها امرأة كانت تطلع عليها: يا فاعلة نهانا الله عز و جل عنه فعصيناه أو نطيعك وأنت مجلودة محلوقة راكبة على جمل [1].

يضرب المثل بطمعه. وأخباره كثيرة متفرقة في كتب الأدب. عاش عمرا طويلا، قيل: أدرك زمن عثمان رضي الله عنه وسكن المدينة في أيامه. وقدم بغداد في أيام المنصور.

روى قليلا عن: عكرمة، وسالم، وأبان بن عثمان، وروي عنه: معدي ابن سليمان، وأبو عاصم النبيل، وكان صاحب مزاح وتطفيل، ومع ذلك كذب عليه[2].

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني،17 / 47 - 50.
(2) سير أعلام النبلاء، 7 /66، الاغاني: 19 / 135 - 182، تاريخ بغداد: 7 / 37 - 44، الكامل لابن الأثير: 5 / 612، وفيات الأعيان: 2 / 471 - 475، نهاية الإرب: 4 / 24 - 36، تاريخ الإسلام: 6 / 167 - 170، ميزان الاعتدال: 1 / 258 - 262، عبر الذهبي: 1 / 222، فوات الوفيات: 1 / 197 - 201، البداية والنهاية: 111،

مواقف من حياته:

خلتان لا تجتمعان في مؤمن:

قيل لأشعب: طلبت العلم وجالست الناس فلو جلست لنا لسمعنا منك، فقال: نعم، فجلس لهم فقالوا: حدثنا، فقال: سمعت عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: خلتان لا تجتمعان في مؤمن، ثم سكت فقالوا: ما الخلتان؟ فقال: نسي عكرمة واحدة ونسيت أنا الأخرى.

فذاك أريد:

قال الواقدي: لقيت أشعب يوماً فقال لي: يا ابن واقد وجدت ديناراً فكيف أصنع به قلت: تعرفه للناس، قال: سبحان الله، قلت: فما الرأي؟ قال: اشتري به قميصاً وأعرفه، قلت: إذن لا يعرفه أحد، قال: فذاك أريد.

أحسن النشر:

وقال الهيثم بن عيد: أسلمته فاطمة بنت الحسين في البزازين، فقيل له: أين بلغت من معرفة البز فقال: أحسن النشر ولا أحسن أطوي وأرجو أن أتعلم الطي.

لعلهم يهدون إلينا فيه:

ومر برجل يتخذ طبقاً فقال: اجعله واسعاً لعلهم يهدون إلينا فيه فيكون كبيراً خيراً من أن يكون صغيراً[1].

وإنك لتعلم ما نريد:

خرج سالم بن عبد الله إلى ناحية من نواحي المدينة متنزهاً ومعه حرم. فبلغ أشعب خبره فوافى الموضع الذي هم فيه فصادف الباب مغلقاً

10 - 113، لسان الميزان: 1 / 450 - 454، شذرات الذهب: 1 / 236، تهذيب ابن عساكر: 3 / 78 - 83.

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2 /472.

فتسور الحائط فقال له سالم: ويحك بناتي وحرمي، فقال:{لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ} [هود: ٧٩]، فوجه إليه بطعام أكل منه وحمل إلى منزله.

عجبت أن تفلح أو يفلح أبوك:

قال سليمان الشاذكوني: كان لي بني في المكتب فانصرف إلي يوماً فقال: يا أبه ألا أحدثك بطريف فقال: هات، فقال: كنت أقرأ على المعلم أن أبي يدعوك وأشعب الطامع عنده جالس، فلبس نعله وقال: امش بين يدي، فقلت: إنما أقرأ عشري، فقال: عجبت أن تفلح أو يفلح أبوك.

عن أبي عاصم النبيل قال: سمعت أشعب يقول: ما زفت بالمدينة امرأة قط إلى زوجها إلا كنست بيتي ورفعت ستري طمعاً في أن تهدي إلي.

هل رأيت أطمع منك؟:

وقيل لأشعب: هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم، شاة كانت لي على سطح فنظرت إلى قوس قزح فظننته حبل من طعام فأهوت إليه واثبة من السطح فاندق عنقها.

ما فعلت ولكني أفعل:

وقدم على يزيد بن حاتم مصر فجلس في مجلسه من الناس، فدعا يزيد بعض غلمانه وأسر له بشيء، فقام أشعب فقبل يده، فقال له: ولم فعلت هذا قال: رأيتك أسررت إلى غلامك بشيء فعلمت أنك قد أمرت لي بصلة، فضحك منه وقال: ما فعلت ولكني أفعل، وأمر له بصلة.

لا آكل لحم أبداً:

وتغدى أشعب مع زياد بن عبيد الله الحارثي فجاءوه بلحم ناضج فقال أشعب للخباز: ضعها بين يدي، فوضعها بين يديه، فقال زياد: من يصلي

بأهل السجن قالوا: ليس لهم إمام، فقال: أدخلوا أشعب يصلي بهم، قال: أو غير ذلك أصلح الله الأمير أحلف لا آكل لحم أبداً[1].

قبل أن يوحي الله إلى النحل:

وحكى المدائني قال: أتي أشعب بحلوي عند بعض الولاة فأكل منها فلم

توافقه، فقيل له: كيف تراها يا أشعب قال: امرأته طالق إن لم تكن عملت من قبل أن يوحي الله إلى النحل.

التسع خصال لك:

وحكى المدائني عن ابن خلف قال: حدثني رجل قال: قلت لأشعب: لو تحدثت عندي العشية، قال: أكره أن يجيء ثقيل، قلت: ليس غيرك وغيري، قال: فإذا صليت الظهر فأنا عندك، فصلى وجاء، فلما وضعت الجارية الطعام إذا صديق لي يدق الباب، قال: ألا ترى قد صرت إلى ما أكره، قلت: إن لك عندي فيه عشر خصال، قال: فما هي قلت: أولها أنه لا يأكل مع ضيف، قال: التسع خصال لك، أدخله.

يسألون عن أحاديث الملوك ويعطون عطاء العبيد:

وحكى الهيثم بن عدي قال: لقيت أشعب، فقلت له: كيف ترى أهل زمانك هذا؟ قال: يسألون عن أحاديث الملوك ويعطون عطاء العبيد.

ما كنت فاعلاً بي شيئاً من ذلك:

وحكى المدائني قال: بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعدما طلق امرأته سعدى، فقال له: يا أشعب إن لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلغ رسالتي سعدى، فقال له: أحضر المال حتى أنظر إليه، فأحضر الوليد بدرة فوضعها أشعب على عنقه وقال: هات رسالتك يا أمير المؤمنين، قال: قل لها: يقول لك:

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2 /473.

أسعدى هـل إليـك لنـا سـبيل ::: وهل حـتى القيامـة مـن تـلاق
بلـى ولعـل دهـراً أن يـوافي ::: بمـوت مـن حليلـك أو طـلاق
فأصـبح شـامتاً وتقـر عـيني ::: ويجمـع شملنـا بعـد افتـراق

قال: فأتى أشعب الباب فأخبرت بمكانه فأمرت ففرش لها فرش وجلست فأذنت له فدخل فأنشدها ما أمره، فقالت لخدمها: خذوا الفاسق، فقال: يا سيدتي إنها بعشرة آلاف درهم، قالت: والله لأقتلنك أو تبلغه كما تبلغني، قال: هاتي رسالتك جعلت فداك، قالت: قل له:

أتبكي على لـبنى وأنـت تركتـها ::: وقد ذهبت لبنى فما أنـت صـانع

فأقبل أشعب فدخل على الوليد فأنشده البيت فقال: أوه! قتلتني والله، ما تراني صانعاً بك يا بن الزانيه اختر إما أن أدليك في البئر منكساً أو أرمي بك من فوق القصر منكساً أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة، فقال: ما كنت فاعلاً بي شيئاً من ذلك، قال: ولم قال: لأنك لم تكن لتعذب عينين قد نظرنا إلى سعدى، قال: صدقت يا بن الزانية، اخرج عني[1].

شجرة الموز:

قال ابن كليب: حدثت أشعب مرة فبكى فقلت: ما يبكيك؟ قال: أنا بمنزلة شجرة الموز إذا نشأت ابنتها قطعت هي، وقد نشأت أنت في موالي وأنا الآن أموت وأنا أبكي على نفسي[2].

خبر أشعب مع زيد بن عمرو بن عثمان زوج سكينة بنت الحسين :

عن المدائني قال: كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوج سكينة بنت الحسين رضي الله تعالى عنه فعتب عليها يوما، فخرج إلى مال له فذكر أشعب أن سكينة دعته فقالت له: إن ابن عثمان خرج عاتبا علي فاعلم لي حاله قلت لا أستطيع أن أذهب إليه الساعة فقالت أنا أعطيك ثلاثين دينارا فأعطتني إياها فأتيته ليلا فدخلت الدار فقال: انظروا من في الدار، فأتوه،

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2 /474.
(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2 /475.

فقالوا: أشعب فنزل عن فرشه وصار إلى الأرض، فقال: أشعيب؟ قلت: نعم، قال: ما جاء بك؟ قلت: أرسلتني سكينة لأعلم خبرك أتذكرت منها ما تذكرت منك، وأنا أعلم أنك قد فعلت حين نزلت عن فرشك وصرت إلى الأرض، قال: دعني من هذا وغنني:

عُوجا به فاستنطِقاه فقد ::: ذكّرني ما كنتُ لم أذكر

فغنيته فلم يطرب ثم قال: غنني ويحك غير هذا، فإن أصبت ما في نفسي فلك خلتي هذه وقد اشتريتها آنفا بثلاثمئة دينار فغنيته

أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعري ::: وأحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره

وتغنى أشعب بشعره فأجازه

خبر ابن سريج المغني مع سكينة بنت الحسين عليهما السلام :

عن مصعب عن شيخ من المكيين قال: كان ابن سريج المغني قد أصابته الريح الخبيثة، وآلى يمينا ألا يغني ونسك ولزم المسجد الحرام حتى عوفي ثم خرج وفيه بقية من العلة، فأتى قبر النبي وموضع مصلاه فلما قدم المدينة نزل على بعض إخوانه من أهل النسك والقراءة فكان أهل الغناء يأتونه مسلمين عليه، فلا يأذن لهم في الجلوس والمحادثة، فأقام بالمدينة حولا حتى لم يحس من علته بشيء، وأراد الشخوص إلى مكة، وبلغ ذلك سكينة بنت الحسين فاغتمت اغتماما شديدا، وضاق به ذرعها، وكان أشعب يخدمها وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره، وقالت لأشعب: ويلك إن ابن سريج شاخص وقد دخل المدينة منذ حول ولم أسمع من غنائه قليلا ولا كثيرا ويعز ذلك علي فكيف الحيلة في الاستماع منه، ولو صوتا واحدا، فقال لها أشعب: جعلت فداك وإنى لك بذلك والرجل اليوم زاهد ولا حيلة فيه فارفعي طمعك والحسي تورك تنفعك حلاوة فمك.

فأمرت بعض جواريها فوطئن بطنه حتى كادت أن تخرج أمعاؤه وخنقنه حتى كادت نفسه أن تتلف، ثم أمرت به فسحب على وجهه، حتى أخرج من الدار إخراجا عنيفا، فخرج على أسوأ الحالات، واغتم أشعب

غما شديدا وندم على ممازحتها في وقت لم ينبغ له ذلك، فأتى منزل ابن سريج ليلا فطرقه فقيل: من هذا؟ فقال أشعب: ففتحوا له فرأى على وجهه ولحيته التراب والدم سائلا من أنفه وجبهته على لحيته وثيابه ممزقة وبطنه وصدره وحلقه قد عصرها الدوس والخنق ومات الدم فيها، فنظر ابن سريج إلى منظر، فظيع هاله وراعه فقال له: ما هذا؟ ويحك فقص عليه القصة.

فقال ابن سريج: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا نزل بك والحمد لله الذي سلم نفسك لا تعودن إلى هذه أبدا.

قال أشعب فديتك هي مولاتي ولا بد لي منها، ولكن هل لك حيلة في أن تصير إليها وتغنيها، فيكون ذلك سببا لرضاها عني، قال ابن سريج: كلا والله لا يكون ذلك أبدا بعد أن تركته.

قال أشعب: قد قطعت أملي ورفعت رزقي، وتركتني حيران بالمدينة لا يقبلني أحد وهي ساخطة علي، فالله الله في وأنا أنشدك الله إلا تحملت هذا الإثم في فأبى عليه.

فلما رأى أشعب أن عزم ابن سريج قد تم على الامتناع، قال في نفسه: لا حيلة لي وهذا خارج وإن خرج هلكت فصرخ صرخة آذن أهل المدينة لها ونبه الجيران من رقادهم، وأقام الناس من فرشهم، ثم سكت فلم يدر الناس ما القصة عند خفوت الصوت بعد أن قد راعهم.

فقال له ابن سريج: ويلك ما هذا؟ قال: لئن لم تصر معي إليها لأصرخن صرخة أخرى لا يبقى بالمدينة أحد إلا صار بالباب، ثم لأفتحنه ولأرينهم ما بي ولأعلمنهم أنك أردت تفعل كذا وكذا بفلان - يعني غلاما كان ابن سريج مشهورا به - فمنعتك وخلصت الغلام من يدك، حتى فتح الباب ومضى، ففعلت بي هذا غيظا وتأسفا، وأنك إنما أظهرت النسك والقراءة لتظفر بحاجتك منه، وكان أهل مكة والمدينة يعلمون حاله معه، فقال ابن سريج: اغرب أخزاك الله، قال أشعب والله الذي لا إله إلا هو،

وإلا فما أملك صدقة وامرأته طالق ثلاثا وهو نحير في مقام إبراهيم والكعبة وبيت النار والقبر قبر أبي رغال، إن أنت لم تنهض معي في ليلتي هذه لأفعلن.

فلما رأى ابن سريج الجد منه، قال لصاحبه: ويحك أما ترى ما وقعنا فيه وكان صاحبه الذي نزل عنده ناسكا، فقال: لا أدري ما أقول فيما نزل بنا من هذا الخبيث، وتذمم ابن سريج من الرجل، صاحب المنزل فقال لأشعب: اخرج من منزل الرجل، فقال: رجلي مع رجلك فخرجا، فلما صارا في بعض الطريق قال ابن سريج لأشعب، امض عني، قال: والله لئن لم تفعل ما قلت لأصيحن الساعة حتى يجتمع الناس ولأقولن إنك أخذت مني سوارا من ذهب لسكينة على أن تجيئها فتغنيها سرا، وإنك كابرتني عليه وجحدتني وفعلت بي هذا الفعل، فوقع ابن سريج فيما حيلة له فيه فقال: أمض لا بارك الله فيك فمضى معه، فلما صار إلى باب سكينة قرع الباب، فقيل: من هذا؟ فقال: أشعب قد جاء بابن سريج ففتح الباب لهما ودخلا إلى حجرة خارجة عن دار سكينة فجلسا، ساعة ثم أذن لهما فدخلا إلى سكينة، فقالت: يا عبيد ما هذا الجفاء، قال: قد علمت بأبي أنت ما كان مني، قالت: أجل فتحدثا ساعة وقص عليها ما صنع به أشعب، فضحكت، وقالت: لقد أذهب ما كان في قلبي عليه، وأمرت لأشعب بعشرين دينارا وكسوة، ثم قال لها ابن سريج: أتأذنين بأبي أنت، قالت: وأين، قال: المنزل، قالت: برئت من جدي إن برحت داري ثلاثا وبرئت من جدي إن أنت لم تغن إن خرجت من داري شهرا وبرئت من جدي إن أقمت في داري شهرا، إن لم أضربك لكل يوم تقيم فيه عشرا، وبرئت من جدي إن حنثت في يميني أو شفعت فيك أحدا.

فقال أبو عبيد وا سخنة عيناه، وا ذهاب دنياه، وا فضيحتاه ثم اندفع يغني:

(أستعينُ الذي بكفّيْه نفْعِي ::: ورَجائي على التي قَتَلَتْني)

فقالت له سكينة: فهل عندك يا عبيد من صبر، ثم أخرجت حلي من

ذهب كان في عضدها وزنه أربعون مثقالا، فرمت به إليه، ثم قالت: أقسمت عليك لما أدخلته في يدك ففعل ذلك، ثم قالت لأشعب: اذهب إلى عزة، فأقرئها مني السلام، وأعلمها أن عبيدا عندنا فلتأتنا متفضلة بالزيارة، فأتاها أشعب فأعلمها فأسرعت المجيء، فتحدثوا باقي ليلتهم، ثم أمرت عبيدا وأشعب فخرجا فناما في حجرة مواليها.

فلما أصبحت هيئ لهم غداؤهم، وأذنت لابن سريج، فدخل فتغدى قريبا منها مع أشعب ومواليها، وقعدت هي مع عزة وخاصة جواريها، فلما فرغوا من الغداء قالت: يا عز إن رأيت أن تغنينا فافعلي قالت: إي وعيشك فتغنت لحنها في شعر عنترة العبسي:

(حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تقادَمَ عَهْدُهُ ::: أقوَى وأقفرَ بعد أمِّ الهَيْثَمِ)

(إن كنْتِ أزْمعْتِ الفِراقَ فإنما ::: زُمَّت رِكابُكُم بلَيْلٍ مُظْلِمِ)

فقال ابن سريج: أحسنت والله يا عزة وأخرجت سكينة الحلي الآخر من يدها فرمته إلى عزة وقالت: صيري هذا في يدك، ففعلت ثم قالت لعبيد: هات غننا فقال: حسبك ما سمعت البارحة فقالت: لا بد أن تغنينا في كل يوم لحنا فلما رأى ابن سريج أنه لا يقدر على الامتناع مما تسأله غنى:

قالت مَنْ أنْتَ على ذُكْرٍ – فقلت لها ::: أنا الذي ساقَهُ للحَيْن مقْدَارُ

قد حانَ منكِ – فلا تَبْعُدْ بك الدار – ::: بَيْنٌ وفي البَيْنِ للمَتْبُولِ إضْرَارُ

ثم قالت لعزة في اليوم الثاني غني فغنت لحنها في شعر الحارث بن خالد:

وقرَّتْ بها عَيْني وقد كنتُ قبْلَها ::: كثيرَ البكاءِ مُشْفِقاً مِنْ صُدُودِها

وَبِشْرَة خَوْدٌ مِثْل تمثالِ بيعَةٍ ::: تظلُّ النصارَى حوله يَوْمَ عِيدِها

قال ابن سريج: والله ما سمعت مثل هذا قط حسنا ولا طيبا.

ثم قالت لابن سريج هات فاندفع يغني

أرقتُ فلم أنَمْ طَرَبا ::: وبِتّ مُسَهَّداً نَصِبا

لِطَيْـــفِ أحـــبِّ خَلْـــقِ الله ::: إنســـــاناً وإنْ غَضِـــبا
فلـــــم أردْ مقالَتَهـــــا ::: ولم أكُ عاتِبـــاً عَتَبـــا
ولكـــنْ صـــرَّمَتْ حَبْلِـــي ::: فأمسّـــى الحَبْـــلُ مُنْقَضِـــيا

فقالت سكينة: قد علمت ما أردت بهذا وقد شفعناك ولم نردك، وإنما كانت يميني على ثلاثة أيام فاذهب في حفظ الله وكلاءته.

ثم قالت لعزة إذا شئت ودعت لها بحلة ولابن سريج بمثلها فانصرفت عزة وأقام ابن سريج حتى انقضت ليلته وانصرف فمضى من وجهه إلى مكة راجعا[1].

ولو لم أقطع الحروف لماتت فرحاً:

قال أشعب تعلقت بأستار الكعبة فقلت: اللهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس فمررت بالقرشيين وغيرهم، فلم يعطني أحد شيئاً فجئت إلى أمي فقالت: مالك قد جئت خائباً، فأخبرتها، فقالت: لا والله لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك، فرجعت فقلت: يا رب أقلني، ثم رجعت فلم أمر بمجلس لقريش وغيرهم إلا أعطوني ووهب لي غلام فجئت إلى أمي بحمار أحمل عليه من كل شيء، فقالت ما هذا الغلام؟ فخفت أن أخبرها بالقصة فتموت فرحاً، فقلت: وهبوا لي، قالت: أي شيء، قلت: غين، قالت: أي شيء غين؟ قلت: لام، قالت: وأي شيء لام؟ قلت: ألف قالت: وأي شيء ألف؟ قلت: ميم، قالت: وأي شيء ميم؟ قلت: غلام فغشي عليها، ولو لم أقطع الحروف لماتت فرحاً[2].

وما أصنع به وهو في بطنك؟!:

حدث الأصمعي قال: ولى الخليفة العباسي المنصور زياد بن عبد الله الحارثي علي مكة والمدينة قال أشعب: فلقيته بالجحفة فسلمت عليه قال فحضر الغداء وأهدي إليه جدي فطبخه مضيرة، وحشيت القبة قال فأكلت

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني،17 / 47 - 50.
(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19 /149.

أكلا أتملح به، وأنا أعرف صاحبي ثم أتي بالقبة فشققتها فصاح الطباخ إنا لله شق القبة، قال: فانقطعت فلما فرغت، قال: يا أشعب هذا رمضان قد حضر ولا بد أن تصلي بأهل السجن، قلت: والله ما أحفظ من كتاب الله إلا ما أقيم به صلاتي، قال: لا بد منه، قال: قلت أو لا آكل جديا مضيرة، قال: وما أصنع به وهو في بطنك، قال: قلت الطريق بعيد أريد أن أرجع إلى المدينة، قال: يا غلام هات ريشة ذنب ديك، قال أشعب: والجحفة أطول بلاد الله ريشة ذنب ديك قال فأدخلت في حلقي، فتقيأت ما أكلت، ثم قال: لي ما رأيك؟ قال: قلت لا أقيم ببلدة يصاح فيها شق القبة، قال: لك وظيفة على السلطان وأكره أن أكسرها عليك فقل ولا تشطط قال قلت نصف درهم أجرة حمار يبلغني المدينة قال أنصفت وأعطانيه [1].

فضحتني في الناس:

حدث عبد الله بن شعيب قال: جاء أشعب إلى أبي بكر بن يحيى من آل الزبير فشكا إليه فأمر له بصاع من تمر وكانت حال أشعب رثة، فقال له أبو بكر بن يحيى: ويحك يا أشعب أنت في سنك وشهرتك تجيء في هذه الحال فتضع نفسك فتعطى مثل هذا اذهب فادخل الحمام، فاخضب لحيتك قال أشعب ففعلت ثم جئته فألبسني ثياب صوف له وقال: اذهب الآن فاطلب قال: فذهبت إلى هشام بن الوليد، صاحب البغلة من آل أبي ربيعة، وكان رجلاً شريفاً موسراً فشكا إليه، فأمر له بعشرين ديناراً، فقبضها أشعب، وخرج إلى المسجد وطفق كلما جلس في حلقة، يقول أبو بكر بن يحيى جزاه الله عني خيراً أعرف الناس بمسألة فعل بي وفعل فيقص قصته، فبلغ ذلك أبا بكر فقال: يا عدو نفسه فضحتني في الناس أفكان هذا جزائي[2].

من الطمع!

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19 /152.
(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19 /153.

قال محمد بن القاسم: كان لأشعب خرق في بابه فينام، ويخرج يده من الخرق ويطمع أن يجيء إنسان فيطرح في يديه شيئاً من الطمع.

دية ماذا؟!

قال محمد بن القاسم: صلى أشعب يوما إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان، وكان مروان عظيم الخلق والعجيزة، فأفلتت منه ريح عند نهوضه لها صوت، فانصرف أشعب من الصلاة، فوهم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح، فلما انصرف مروان إلى منزله، جاءه أشعب فقال له الدية، فقال: دية ماذا؟! فقال: دية الضرطة التي تحملتها عنك، والله وإلا شهرتك فلم يدعه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً.

رعبتني رعبك الله:

قال يحيى بن محمد بن أبي قتيلة: غذا أشعب جديا بلبن زوجته وغيرها حتى بلغ الغاية قال: ومن مبالغته في ذلك أن قال لزوجته: أي ابنة وردان إني أحب أن ترضعيه بلبنك قال: ففعلت، قال: ثم جاء به إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال: بالله إنه لابني قد رضع بلبن زوجتي، وقد حبوتك، به ولم أر أحداً يستأهله سواك، قال فنظر إسماعيل إلى فتنة من الفتن، فأمر به فذبح وسمط فأقبل عليه أشعب، فقال: المكافأة، فقال: ما عندي والله اليوم شيء ونحن من تعرف، وذلك غير فائت لك، فلما يئس منه قام من عنده، فدخل على أبيه جعفر بن محمد، ثم اندفع يشهق حتى التقت أضلاعه، ثم قال: أخلني، قال: ما معنا أحد يسمع ولا عين عليك، قال: وثب ابنك إسماعيل على ابني فذبحه وأنا أنظر إليه، قال: فارتاع جعفر، وصاح: ويلك وفيم وتريد ماذا؟ قال: أما ما أريد فوالله ما لي في إسماعيل حيلة، ولا يسمع هذا سامع أبداً بعدك، فجزاه خيراً وأدخله منزله وأخرج إليه مائتي دينار، وقال له: خذ هذه ولك عندنا ما تحب، قال: وخرج إلى إسماعيل لا يبصر ما يطأ عليه، فإذا به مترسل في مجلسه، فلما رأى وجه أبيه نكره، وقام إليه، فقال: يا إسماعيل أو فعلتها بأشعب،

قتلت ولده؟ قال: فاستضحك وقال: جاءني بجدي من صفته كذا، وخبره الخبر، فأخبره أبوه ما كان منه، وصار إليه، قال: فكان جعفر يقول لأشعب: رعبتني رعبك الله، فيقول روعة ابنك، والله إياي في الجدي أكبر من روعتك، أنت في المائتي الدينار [1].

فما أنت صانع؟:

عن أشعب قال: أتيت خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ليلة أسأله، فقال لي: أنت على طريقة لا أعطي على مثلها، قلت: بلى، جعلت فداءك، فقال: قم فإن قدر شيء فسيكون، قال: فقمت فإني لفي بعض سكك المدينة إذ لقيني رجل، فقال: يا أشعب إن كان الله قد ساق إليك رزقاً، فما أنت صانع؟ قلت: أشكر الله وأشكر من فعله، قال: كم عيالك؟ فأخبرته قال: قد أمرت أن أجري عليك وعلى عيالك ما كنت حياً، قال: من أمرك؟ قال: لا أخبرك ما كانت هذه فوق هذه، يريد السماء، وأشار إليها، قال: قلت: إن هذا معروف يشكر، قال: الذي أمرني لم يرد شكرك وهو يتمنى ألا يصل مثلك، قال: فمكثت آخذ ذلك إلى أن توفي خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، قال: فشهدته قريش وحفل له الناس، قال: فشهدته فلقيني ذلك الرجل فقال: يا أشعب انتف رأسك ولحيتك هذا والله صاحبك الذي كان يجري عليك ما كنت أعطيك وكان والله يتمنى مباعدة مثلك، قال: فحمله والله الكرم إذ سألته أن فعل بك ما فعل، قال عمير: قال أشعب: فعملت بنفسي والله حينئذٍ ما حل وحرم.

إذا ناجيت ربك فناجه بوجه طلق:

قال الزبير بن بكار قال: كان أشعب يوماً في المسجد يدعو وقد قبض وجهه فصيره كالصبرة المجموعة فرآه عامر بن عبد الله بن الزبير فحصبه وناداه: يا أشعب إذا ناجيت ربك فناجه بوجه طلق، قال: فأرخى

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19 /159.

لحيه حتى وقع على زوره قال فأعرض عنه عامر، وقال: ولا كل هذا [1].

فهو أحب إلي:

قال أحمد بن يحيى: قالت صديقة أشعب لأشعب هب لي خاتمك أذكرك به قال اذكريني أني منعتك إياه فهو أحب إلي.

هذا عملك الخبيث:

قال أشعب لأمه: رأيتك في النوم مطلية بعسل، وأنا مطلي بعذرة، فقالت: يا فاسق هذا عملك الخبيث كساكه الله عز و جل، قال: إن في الرؤيا شيئاً آخر، قالت: ما هو؟ قال: رأيتني ألطعك وأنت تلطعيني، قالت: لعنك الله يا فاسق[2].

اشربيه أنت من الطمع:

أخبر المدائني قال: كان أشعب يتحدث إلى امرأة بالمدينة حتى عرف ذلك فقالت لها جاراتها يوما: لو سألته شيئاً فإنه موسر، فلما جاء قالت: إن جاراتي ليقلن لي ما يصلك بشيء، فخرج نافراً من منزلها، فلم يقربها شهرين، ثم إنه جاء ذات يوم فجلس على الباب، فأخرجت إليه قدحاً ملآن ماء، فقالت: اشرب هذا من الفزع فقال: اشربيه أنت من الطمع.

قد أخذني القولنج:

دخل أشعب يوماً على الحسين بن علي، وعنده أعرابي قبيح المنظر مختلف الخلقة فسبح أشعب حين رآه، وقال للحسين عليه السلام: بأبي أنت وأمي أتأذن لي أن أسلح عليه، فقال الأعرابي: ما شئت ومع الأعرابي قوس وكنانة ففوق له سهما، وقال: والله لئن فعلت لتكونن آخر

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19 /160.
(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19 /162.

سلحة سلحتها، قال أشعب للحسين: جعلت فداءك قد أخذني القولنج [1].

الأسماء التي عرضت على آدم:

ذكر أشعب بالمدينة رجلاً قبيح الاسم فقيل له: يا أبا العلاء أتعرف فلاناً قال: ليس هذا من الأسماء التي عرضت على آدم.

عمر الأبد:

سمع أشعب حبى المديّنية تقول: اللهم لا تمتني حتى تغفر لي ذنونبي، فقال لها: يا فاسقة أنت لم تسألي الله المغفرة إنما سألته عمر الأبد - يريد أنه لا يغفر لها أبداً.

أعتق ما أملك:

ساوم أشعب رجلاً بقوس عربية، فقال الرجل: لا أنقصها عن دينار، قال أشعب: أعتق ما أملك لو أنها إذا رمي بها طائر في جو السماء ووقع مشوياً بين رغيفين ما أخذتها بدينار فأيَّ رشد يؤنس منه؟ [2].

سالم قد فتح باب صدقة عمر:

سأل سالم بن عبد الله أشعب عن طعمه، قال: قلت: لصبياني مرة هذا سالم قد فتح باب صدقة عمر، فانطلقوا يعطكم تمراً فمضوا، فلما أبطؤوا ظننت أن الأمر كما قلت فاتبعتهم.

عرقوب رب البيت :

بينما أشعب يوماً يتغدى إذ دخلت جارة له ومع أشعب امرأته تأكل فدعاها ليتغدّى فجاءت الجارة، فأخذت العرقوب بما عليه قال: وأهل المدينة يسمونه عرقوب رب البيت قال: فقام أشعب، فخرج ثم عاد فدق الباب فقالت له امرأته: يا سخين العين، مالك؟ قال: أدخل، قالت: أتستأذن أنت وأنت رب البيت، قال: لو كنت رب البيت ما كانت العرقوب بين

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19 /163.
(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19 /164.

يدي هذه[1].

ثم قام فانصرف:

حدث عبد الله بن محمد بن أبي سلمة قال جاء أشعب إلى مجلس أصحابنا فجلس فيه فمرت جارية لأحدهم بحزمة عراجين من صدقة عمر، فقال له أشعب: فديتك أنا محتاج إلى حطب فمر لي بهذه الحزمة قال: لا ولكن أعطيك نصفها على أن تحدثني بحديث ديباجة الحرم، فكشف أشعب ثوبه عن استه واستوفز، وجعل يخنس ويقول: إن لهذا زماناً، وجعلت خصيتاه تخطان الأرض ثم قال: أعطاني والله فلان في حديث ديباجة الحرم عشرين ديناراً، وأعطاني فلان كذا، وأعطاني فلان كذا، حتى عد أموالاً، وأنت الآن تطلبها مني بنصف حزمة عراجين ثم قام فانصرف.

يقرقر مثل الدجاجة:

دخل رجل من قريش على سكينة بنت الحسين عليهما السلام، قال: فإذا أنا بأشعب متفحج جالس تحت السرير، فلما رآني جعل يقرقر مثل الدجاجة فجعلت أنظر إليه، وأعجب فقالت: مالك تنظر إلى هذا، قلت: إنه لعجب، قالت: إنه لخبيث قد أفسد علينا أمورنا بغباوته، فحضنته بيض دجاج، ثم أقسمت أنه لا يقوم عنه حتى ينفق [2].

كلباً يتبعني أربعة أميال على مضغ العلك:

وروى عن أحمد بن الحسن البزار، وجدت بخط ابن الوشاء عن أبي الوشاء عن الكديمي عن أبي عاصم، قال: قيل: لأشعب الطامع، أرأيت أحداً قط أطمع منك قال: نعم كلباً يتبعني أربعة أميال على مضغ العلك.

لا تعشينا:

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19 /165.
(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19 /168.

اجتازت جنازة الصريمية المغنية بأشعب، وهو جالس في وقوم من قريش فبكى عليها، ثم قال: ذهب اليوم الغناء كله، وعلى أنها الزانية كانت لا رحمها الله شر خلق الله، فقيل: يا أشعب ليس بين بكائك عليها ولعنك إياها فصل في كلامك، قال: نعم كنا نجيئها الفاجرة بكبش، فيطبخ لنا في دارها، ثم لا تعشينا يشهد الله إلا بسلق.

أشعب والغاضري :

بلغ أشعب أن الغاضري قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره، وأن جماعة قد استطابوه، فرقبه حتى علم أنه في مجلس من مجالس قريش يحادثهم ويضحكهم فصار إليه، ثم قال له: قد بلغني أنك قد نحوت نحوي، وشغلت عني من كان يألفني، فإن كنت مثلي فافعل كما أفعل، ثم غضن وجهه وعرضه وشنجه حتى صار عرضه أكثر من طوله وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها، ثم أرسل وجهه وقال له: افعل هكذا وطول وجهه، حتى كاد ذقنه يجوز صدره، وصار كأنه وجه الناظر في سيفه، ثم نزع ثيابه وتحادب، فصار في ظهره حدبة كسنام البعير وصار طوله مقدار شبر أو أكثر ثم نزع سراويله، وجعل يمد جلد خصييه حتى حك بهما الأرض، ثم خلاهما

من يده، ومشى وجعل يخنس وهما يخطان الأرض، ثم قام فتطاول وتمدد، وتمطى حتى صار أطول ما يكون من الرجال فضحك والله القوم حتى أغمي عليهم، وقطع الغاضري فما تكلم بنادرة ولا زاد على أن يقول: يا أبا العلاء لا أعاود ما تكره إنما أنا تلميذك وخريجك ثم أنصرف أشعب وتركه[1].

نصفها حق ونصفها باطل:

وقال أشعب: رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل. قالوا له: كيف

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19 /170.

ذلك؟ قال: رأيتني أحمل بدرة نقود، فمن شدة ثقلها علي كنت أقطع في ثيابي، ثم انتبهت، فإذا أنا مقطوع الثياب ولا بدرة.

لكثرة شكرك الله:

وضرب الحجاج أعرابياً سبعمائة سوط، وهو يقول عند كل سوط. شكراً لك يا رب. فلقيه أشعب، فقال: أتدري لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط؟ قال: ما أدري. قال: لكثرة شكرك الله. يقول الله:{لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ٧]، فقال الأعرابي:

يا رب لا شكراً فلا تزدني ::: أسأت في شكرك فاعف عني

باعد ثواب الشاكرين مني

فأنا أؤخرك ما شئت ولا أسلفك:

وسأل رجل من أشعب أن يسلفه ويؤخره، فقال: هاتان حاجتان، فإذا قضيت إحداهما فقد أنصفت. قال له الرجل: رضيت قال: فأنا أؤخرك ما شئت ولا أسلفك.

يحترق تحتها من دفن فيها:

أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي القعقاع. قال: رأيت أشعب في السوق يبيع قطيفة، ويقول للمشتري: أريد أن أبرأ إليك من عيب. قال: وما ذاك؟ قال: يحترق تحتها من دفن فيها.

من أقواله:

- قال أشعب: من بال ولم يضرط كتب من الكاظمين الغيظ.

- وقيل له: ما بلغ من طمعك؟ قال: لم أنظر إلى اثنين يتساران إلا حسبت أنهما يأمران لي بشيء.

ألم ينهكم سليمان بن داود أن تخرجوا بالنهار:

ونظر أشعب إلى رجل قبيح الوجه، فقال: ألم ينهكم سليمان بن داود أن تخرجوا بالنهار.

لعل يوماً يهدى إلي فيه شيء:

ومر أشعب برجل نجار يعمل طبقاً فقال له: زد فيه طوقاً واحداً تتفضل به علي. قال: وما يدخل عليك من ذلك؟ قال: لعل يوماً يهدى إلي فيه شيء.

قال الأصمعي: أخبرني هارون بن زكريا عن أشعب قال: أدركت الناس يقولون: قتل عثمان. قال الأصمعي: وعاش أشعب إلى زمان المهدي ورأيته[1].

إلا وفي نفْسِك خيرٌ تصنعه بي:

وقيل له: ما بلغ مِنْ طمعك؟ قال: لم تقُلْ هذا إلا وفي نفْسِك خيرٌ تصنعه بي.

احلف أنه لمْ يُوصِ لي بشي قبل موته:

ومِن عجيب أخباره أنه لم يمتْ شريفٌ قط من أهل المدينة إلا استعدى أشعب على وَصيته، أو وارثه، وقال له: احلف أنه لمْ يُوص لي بشي قبل موته.

إنك لمطاعةٌ!!:

قيل: بغتْ أم أشعب، فضُربتْ، وحُلِقتْ، وحملت على بعير يُطاف بها، وهي تقول: منْ رآني فلا يزْنينَّ. فأشرفتْ عليها ظريفةٌ من أهل المدينة: فقالت لها: إنك لمطاعةٌ!! نهانا الله عنهُ، فما ندعُه، ونَدعهُ لقولك؟

لا أذوق بصَلَيَّةً أبَدا:

كان زياد بنُ عبدِ الله الحارثي على شُرطةِ المدينة، وكان مبخلاً على الطعام فدعا أشعبَ في شهر رمضانَ ليفطرَ عنده، فقدِّمتْ إليه في أول ليلة بَصَليةٌ معْقُودةٌ، كانتْ تُعْجِبه، فجعل أشعبُ يُمِعنُ فيها - وزيادٌ يلمحه - فلما فَرغوا من الأكل قال زياد: ما أظُنُّ أن لأهل السجن إماماً يصلي

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 3 /52.

بهـــم في هذا الشهر فَلْيصَلِّ بهم أشْعَبُ. فقال أشْعبُ: لو غَير ذلك - أصْلحَك الله -؟ قال: وما هُو؟ قال: أحْلِفُ أني لا أذوق بصَلّيّةٌ أبَدا. فخجل زيادٌ، وتغَافل عنه.

ولا تصدقين بالنفاس:

قال أشَعب: جاءتني جاريةٌ بدينار، وقالتْ: هَذِهِ ودَيعةٌ عندكَ. فجعلتُه بيْن ثِنْى الفراش. فجاءتْ بعد أيام فقالتْ: بأبي الدينارَ فقلتُ: ارفعي الفراش، وخُذي ولدّهُ. وكنتُ تركتُ إلى جَنْبه درهماً فتركت الدينارَ. وأخذت الدرهم وعادت بعد أيام فوجدتْ معهُ درهماً آخرَ، فأخذته.

وعادت في الثالثة كذلك. فلما رأيتُها في الرابعةِ بكيتُ. فقالت: ما يُبكيكَ؟ قلتُ: ماتَ دينارُك في النِّفاس. قالت: وكيف يكون للدينار نِفَاسٌ؟ قلتُ: يا فاسقةٌ تُصدقين بالولادة، ولا تصدقين بالنفاس!!

فغدوْتُ في أثَرهم:

سأل سالم بنُ عبدِ الله بن عمر أشعبَ عن طمعه، فقال: قلتُ لصبيان مرَّةً: اذهبُوا. هذا سالم قد فتَح بيتَ صدَقَة عمرَ حتى يُطعمكم تمراْ. فلمَّا احْتبسوا ظننْتُ انه كما قلتُ لهم فغدوْتُ في أثَرهم.

وقيل أيضاً: ما بلغ من طمَعكَ؟ قال: ما رأيتُ عروساً بالمدينة تُزفُّ إلا كنستُ بيتي، ورششْته طمَعاً في أن تُزفَّ إليَّ.

ولكن يشتريه بعضُ الأشراف:

ووقف علىَ رجل خَيْزُراني - وكان يعمل طبقاً - فقال له: وسعْه قليلاً.

قال الخَيْزْراني: وما تُريد بذلك؟ كأنَّك تُريد أنْ تشتريَه؟ قال: لا، ولكن يشتريه بعضُ الأشراف، فَيْهدي إلي فيه شيئاً.

ما لا تطيبُ نفسي بترْكه:

وقال له ابنُ أبي عتيق: أمَا تستحيى - وعندكَ ما أرى - مِنْ أنْ تسأل

الناسَ؟ قال: معي من لُطفِ المسألةِ مالا تطيبُ نفسي بترْكه.

أصْطلي بناره:

وجلس يوماً في الشتاء إلى رجل من وَلدِ عُقبة بن أبي مُعَيْطٍ، فمرَّ به حسنُ بن حسن، فقال: ما يُقعِدُك إلى جَنْب هذا؟ قال: أصْطلي بناره.

حتى يخرجَ بينهما مزامير داودَ:

ولما مات ابنُ عائشة المغني جعل أشْعبُ يبكي، ويقول: قلتُ لكم زوجوا ابن عائشة من الشماسيةِ حتى يخرجَ بينهما مزامير داودَ، فلم تفعلوا وكان لا يُغني حذرٌ مِنْ قَدَر[1].

ولقد حسدْتُه على ذلك:

وقيلَ له: هل رأيتَ أطْمعَ منك؟ قال: نعمْ: كَلْب أمِّ حومل، تبعني فَرسخيْن، وأنا أمضُع كُنْدراً. ولقد حسدْتُه على ذلك.

لأنه لم يُخالطْها رياءٌ:

وخفَّفَ الصلاة مرةً، فقال له بعضُ أهل المسجد: خفَفتَ الصلاةَ جداً!! قال: لأنه لم يُخالطْها رياءٌ.

وقَعَ عند غير شاكر:

وقال له رجل: ضَاعَ معْروفي عندَك. قال: لأنه جاءَ من غير محْتسب ثم وقَعَ عند غير شاكر.

فمنْ أشبهتَ أنت؟:

قال رجل لأشْعبَ - وكان صديقَ أبيه -: يا بني. كان أبوك عظيمَ اللحية، فمنْ أشبهتَ أنت؟ قال: أشبهتُ أمي[2].

ولو لا أن يتحدث الناس لأجزلت لك الجائزة:

(1) الآبي، نثر الدر، 1 /430.
(2) الأبي، نثر الدر،1 /431.

وروى ابن عساكر أن أشعب غنى يوما لسالم بن عبد الله بن عمر قول بعض الشعراء:

مضين بها والبدر يشبه وجهها ::: مطهرة الأثواب والدين وافر
لها حسب زاك وعرض مهذب ::: وعن كل مكروه من الأمر زاجر
من الخفرات البيض لم تلق ريبة ::: ولم يستملها عن تقى الله شاعر

فقال له سالم: أحسنت فزدنا. فغناه:

ألمت بنا والليل داج كأنه ::: جناح غراب عنه قد نفض القطرا
فقلت أعطار ثوى في رحالنا ::: وما علمت ليلى سوى ريحها عطرا

فقال له: أحسنت ولو لا أن يتحدث الناس لأجزلت لك الجائزة، وإنك من الأمر لبمكان.

ففيم قعودك وقد خرج الناس؟:

عن الأصمعي، قال: قدم جرير المدينة فأتاه الشعراء وغيرهم، وأتاه أشعب فيهم. فسلموا عليه وحادثوه ساعةً وخرجوا، وبقي أشعب. فقال له جرير: أراك قبيحاً وأراك لئيم الحسب، ففيم قعودك وقد خرج الناس؟ فقال له: أصلحك الله، إنه لم يدخل عليك اليوم أحدٌ أنفع لك مني، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأني آخذ رقيق شعرك فأزينه بحسن صوتي. فقال له جرير: فقل. فاندفع يغنيه:

يا أخت ناجية السلام عليكم ::: قبل الرحيل وقبل لوم العذل
لو كنت أعلم أن آخر عهدكم ::: يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

قال: فاستخف جريراً الطرب لغنائه بشعره حتى زحف إليه واعتنقه وقبل بين عينيه، وسأله عن حوائجه فقضاها له[1].

ولكن خذ هذا العود فلعلك تعود:

وكان أشعب يختلف إلى قينة بالمدينة، فجلس عندها يوماً يطارحها

(1) العقد الفريد، 2 /408.

الغناء، فلما أراد الخروج قال لها: ناوليني خاتمك أذكرك به. قالت: إنه ذهب، وأخاف أن تذهب، ولكن خذ هذا العود فلعلك تعود. وناولته عوداً من الأرض.

فبدر إليه أشعب فمزقه:

ودخل أشعب على والي المدينة، فحضر طعامه، وكان له جدي على مائدته يتحاماه كل من حضر،فبدر إليه أشعب فمزقه،فقال له: يا أشعب، إن أهل السجن ليس لهم إمام يصلي بهم فإن رأيت أن تكون لهم إماماً تصلي بهم، فإن في ذلك أجراً. فقال: والله ما أحب هذا الأجر ولك زوجتي طالق إن أكلت لحم جدي عندك حتى ألقى الله.

فهي أدركت أباك وأكلته:

وبينما قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده حيتاناً إذ استأذن عليهم أشعب، فقال أحدهم: إن من شأن أشعب البسط إلى أجل الطعام، فاجعلوا كبار هذه الحيتان في قصعة بناحية، ويأكل معنا الصغار، ففعلوا. وأذن له، فقالوا له: كيف رأيك في الحيتان؛ فقال: والله إن لي عليها لحرداً شديداً وحنقاً، لأن أبي مات في البحر وأكلته الحيتان. قالوا له: فدونك خذ بثأر أبيك. فجلس ومد يده إلى حوت منها صغير، ثم وضعه عند أذنه، وقد نظر إلى القصعة التي فيها الحيتان في زاوية المجلس، فقال: أتدرون ما يقول لي هذا الحوت؟ قالوا: لا ندري. قال: إنه يقول: إنه لم يحضر موت أبي ولم يدركه لأن سنه يصغر عن ذلك، ولكن قال لي: عليك بتلك الكبار التي في زاوية البيت، فهي أدركت أباك وأكلته[1].

عمر هذا الجدي بعد أن ذبح وشوي أطول منه قبل ذلك:

حكى عن أشعب أنه حضر إعذاراً صنعه بعض ولاة المدينة، وكان

(1) العقد الفريد، 3 /51.

مبخلاً، فدعا الناس ثلاثة أيام وهو يجمعهم على مائدة عليها جدي مشوي، فيحوم الناس حوله، ولا يمسه منهم أحد لعلمهم ببخله، وأشعب في كل يوم يحضر ويرى الجدي، فقال في اليوم الثالث: زوجته طالق إن لم يكن عمر هذا الجدي بعد أن ذبح وشوي أطول منه قبل ذلك[1].

ما فعلت ولكني أفعل:

قدم أشعب المشهور في الطمع على يزيد وهو بمصر فجلس بمجلسه ودعا بغلامه فساره فقام أشعب فقبل يده فقال له يزيد: لم فعلت هذا فقال: إني رأيتك تسارر غلامك فظننت أنك قد أمرت لي بشيء فضحك منه وقال: ما فعلت ولكني أفعل. ووصله وأحسن إليه.

مالك قد جئت خائباً؟:

قال أشعب: تعلقت بأستار الكعبة فقلت: اللهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس، فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئاً. فجئت إلى أمي، فقالت: مالك قد جئت خائباً؟ فأخبرتها بذلك، فقالت: والله لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك فرجعت فجعلت أقول: يا رب أقلني، ثم رجعت، فما مررت بمجلس لقريش ولا غيرهم إلا أعطوني.

لعل الشيطان يتشبه بك:

وقال مصعب بن عثمان: لقي أشعب سالم بن عبد الله بن عمر، فقال له: يا أشعب، هل لك في هريس أعد لنا؟ قال: نعم، بأبي أنت وأمي. فمضى أشعب إلى منزله، فقالت له امرأته: قد وجه عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوك، قال: ويحك إن لسالم بن عبد الله هريسة قد دعاني إليها، وعبد الله ابن عمرو في يدي متى شئت، وسالم إنما دعوته للناس فلتة، وليس لي بد من المضي إليه. قالت: إذاً يغضب عبد الله. قال آكل عنده ثم

(1) الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1418هـ - 1998م، 257/1.

أصــــــــــــــــــــــــير إلــــــــــــــــــــــى عبد الله. فجاء إلى منزل سالم فجعل يأكل أكل متعالل. فقال له: كل يا أشعب، وابعث ما فضل عنك إلى منزلك. قال: ذلك أردت، بأبي أنت وأمي. قال: فقال: يا غلام، احمل هذا إلى منزله، فحمله ومشى أشعب معه. فقالت امرأته: ثكلتك أمك، قد حلف عبد الله لا يكلمك شهراً، قال: دعيني وإياه، هاتي شيئاً من زعفران، فأعطته، فأخذه ودخل الحمام، فمسحه على وجهه وبدنه، وجلس في الحمام حتى صفره، وخرج متوطأ على عصا يرعد حتى أتى دار عبد الله بن عمرو بن عثمان. فلما رآه حاجبه قال: ويحك بلغت بك العلة ما أرى. ودخل فأعلم صاحبه، فأذن له. فلما دخل عليه، إذا سلم بن عبد الله عنده، فجعل يزيد في الرعدة، ويقارب الخطو، وجلس وما كاد أن يستقل. فقال عبد الله: ظلمناك يا أشعب في غضبنا عليك. فقال له سالم: ويلك مالك؟ ألم تكن عندي آنفاً وأكلت هريسة قال: لقد شبه لك، لا حول ولا قوة إلا بالله. قال: لعل الشيطان يتشبه بك. قال أشعب: علي وعلي إن كنت رأيتك منذ شهر. فقال له عبد الله: اعزب ويلك عن خالي أتبهته لا أم لك قال: ما قلت إلا حقاً. قال: بحياتي اصدقني وأنت آمن من غضبي.

قال: وحياتك لقد صدق، وحدثه بالقصة، فضحك حتى استلقى على قفاه(1).

بل أعطوه مائة دينار:

عن ابن أشعب عن أبيه، قال: دعي ذات يوم بالمغنين إلى الوليد بن يزيد، وكنت نازلاً معهم، فقلت للرسول: خذني فيهم، قال: لم أؤمر بك، إنما أمرت بإحضار المغنيين، وأنت بطال لا تدخل في جملتهم. فقلت له: أنا والله أحسن غناء منهم، ثم اندفعت فغنيت. فقال: لقد سمعت حسناً، ولكن أخاف. قلت: لا خوف عليك، ولك من ذلك شرط. قال: وما هو؟

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 4 /33.

قلت: كل ما أصبت فلك شطره، فأشهد علي الجماعة، ومضينا حتى دخلنا على الوليد، وهو لقس النفس، فغناه المغنون في كل فن فلم يتحرك ولم ينشط. فقام الأبجر إلى الخلاء، وكان خبيثاً داهياً، فسأل الخادم عن خبره، فقال: بينه وبين امرأته شر، لأنه عشق أختها فغضبت عليه، وهو إلى أختها أميل، وقد عزم على طلاقها، وحلف ألا يذكرها أبداً بمراسلة أو مخاطبة، فخرج على هذه الحال من عندها. فعاد الأبجر إلينا، وجلس ثم اندفع يغني:

فبيني فإني لا أبالي وأيقني ::: أصعد باق حبكم أم تصوبا
ألم تعلمي أني عزوف عن الهوى ::: إذا صاحبي من غير شيء تغضباً

فطرب الوليد وارتاح، وقال للأبجر: أصبت والله يا عبيد ما في نفسي، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشرب حتى سكر، ولم يحظ أحد بشيء سوى الأبجر. فلما أيقنت بانقضاء المجلس وثبت فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر من يضربني مائة سوط الساعة بحضرتك فضحك. ثم قال: قبحك الله وما السبب في ذلك؟ فأخبرته بقصتي مع الرسول، وقلت له: إنه بدأني بالمكروه في أول يومه فاتصل علي إلى آخره، فأريد أن أضرب مائة سوط ويضرب بعدي مثلها.

فقال: لقد لطفت، بل أعطوه مائة دينار، وأعطوا الرسول خمسين ديناراً من مالنا عوض الخمسين التي أراد أخذها من أشعب، فقبضتها وانصرفت[1].

أتدري في أي شيء أموت؟:

قال ابن زبنج: كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأعبثهم، فبينا نحن ذات يوم عنده وعنده أشعب، إذ أقبل أعرابي معه جمل، والأعرابي أشقر أزرق أزعر يتلظى كأنه أفعى، والشر بين في وجهه، ما يدنو منه أحد إلا شتمه ونهره، فقال أبان: هذا والله من البادية، ادعوه لي، فدعوه له

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 4 /35.

وقيل: إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك، فأتاه فسلم عليه، فسأله أبان بن عثمان عن نسبه، فانتسب له. فقال له أبان: حياك الله يا خال، اجلس، فجلس. فقال له: إني أطلب جملاً مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتهي بهذه الصفة وهذه الهامة والصورة والورك والأخفاف، والحمد لله الذي جعل ظفري به عند من أحبه، أتبيعنيه؟ فقال: نعم أيها الأمير. قال: فإني قد بذلت لك به مائة دينار، فطمع الأعرابي وسر بذلك وانتفخ، وبان الطمع في وجهه. فأقبل أبان على أشعب ثم قال له: ويلك يا أشعب إن خالي هذا من أهلك وأقاربك يعني: في الطمع فأوسع له مما عندك، قال: نعم، بأبي أنت وزيادة. فقال له أبان: يا خال، إنما زدتك في الثمن على بصيرة أن الجمل يساوي ستين ديناراً، ولكني بذلت لك مائة دينار لقلة النقد عندنا، وإني أعطيك عروضاً (أشياء) تساوي مائة دينار، فزاد طمع الأعرابي وقال: قد قبلت ذلك أيها الأمير. وأسر أبان إلى أشعب، فأخرج شيئاً مغطى، فقال له: أخرج ما جئت به، فأخرج جرد عمامة تساوي أربعة دراهم. فقال له: قومها يا أشعب. فقال: عمامة الأمير تساوي أربعة دراهم. فقال له: قومها يا أشعب. فقال: عمامة الأمير يشهد فيها الأعياد والجمع ويلقي فيها الخلفاء خمسون ديناراً. قال: ضعها بين يديه، وقال لابن زبنج: أثبت قيمتها، فكتب ذلك، ووضعت العمامة بين يدي الأعرابي، فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً، ولم يقدر على الكلام. قال:

هات قلنسوتي، فأخرج قلنسوة طويلة خلقاً قد علاها الوسخ والدهن وتخرقت تساوي نصف درهم. قال: قوم، فقال: قلنسوة الأمير تعلو هامته، ويصلي فيها الصلوات الخمس، ويجلس فيها للحكم ثلاثون ديناراً. قال: أثبت، فأثبت ذلك، ووضعت القلنسوة بين يدي الأعرابي فأربد وجهه وجحظت عيناه وهم بالوثوب، ثم تماسك وهو مقلقل. ثم قال لأشعب: هات ما عندك، فأخرج خفين خلقين قد نقبا وتقشرا وتفتتا، فقال: قوم، فقال: خفا الأمير يطأ بهما الروضة، ويعلو بهما منبر النبي صلى الله عليه وسلم

أربعون ديناراً، فقال: ضعهما بين يديه. ثم قال للأعرابي: أضمم إليك متاعك، وقال لبعض الأعوان: امض مع الأعرابي واقبض ما بقي لنا عليه من ثمن المتاع، وهو عشرون ديناراً. فوثب الأعرابي فأخذ القماش فضرب به وجوه القوم لا يألو في شدة الرمي، ثم قال له: أتدري في أي شيء أموت؟ قال: لا، قال: لم أدرك أباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولد مثلك ثم نهض كالمجنون حتى أخذ برأس بعيره، وضحك أبان حتى سقط، وضحك من كان معه. فكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له: هلم إلي يا بن الخبيثة، حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم قومت، فيهرب منه أشعب[1].

فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تهلكيني:

وقال المدائني: حدثني شيخ من أهل المدينة قال: كانت امرأة شديدة العين، لا تنظر إلى شيء فتستحسنه إلا عانته، فدخلت على أشعب وهو في الموت، وهو يقول لابنته: يا بنية، إذا أنا مت فلا تندبيني، والناس يسمعونك، وتقولين: وا أبتاه، أندبك للصوم والصلاة، للفقه والقرآن، فيكذب الناس ويلعنونني. ثم التفت فرأى المرأة، فغطى وجهه بكمه وقال لها: يا فلانة، بالله إن كنت استحسنت شيئاً مما أنا فيه، فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تهلكيني، فغضبت المرأة وقالت: سخنت عينك وفي أي شيء أنت مما يستحسن؟ أنت في آخر رمق قال: قد علمت، ولكن قلت لئلا تكوني قد استحسنت خفة الموت علي وسهلة النزع، فيشتد ما أنا فيه. فخرجت من عنده وهي تسبه، وضحك من كان حوله من كلامه ومات[2].

من أين وقعت على هذا؟:

قال أشعب: ولي المدينة رجل من ولد عامر بن لؤي، وكان أبخل

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 4 /36.
(2) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 4 /37.

الناس وأنكدهم، وأغداه الله بي يطلبني في ليلة ونهاره، فإذا هربت منه هجم على منزلي بالشرط، وأن أضحكه، ولا أسكت ولا أنام، ثم لا يطعمني ولا يعطيني شيئاً، ولقيت منه جهداً عظيماً وبلاء شديداً، وحضر الحج فقال لي: يا أشعب كن معي، قلت: بأبي أنت وأمي، أنا عليل وليست لي في الحج نية فقال: عليه وعليه، وقال: إن الكعبة بيت النار لئن لم تخرج معي لأودعنك الحبس حتى أقدم، فخرجت معه مكرهاً، فلما نزلنا المنزل أظهر أنه صائم، ونام حتى تشاغلت أكل ما في سفرته، وأمر غلامه أن يطعمني رغيفين بملح، فجئت وعندي أنه صائم، ولم أزل منتظراً إلى المغرب أتوقع إفطاره، فلما صليت المغرب قلت لغلامه: ما ينتظر بالأكل؟ قال: قد أكل منذ زمان، قلت: أو لم يكن صائماً؟ قال: لا، قلت: أفأطوى أنا؟ قال: قد أعد لك ما تأكله فكل، وأخرج إلي رغيفين والملح، فأكلتهما وبت ميتاً جوعاً، وأصبحت فسرنا حتى نزلنا المنزل، فقال لغلامه: ابتع لنا لحماً بدرهم، فابتاعه، فقال: كبب لي قطعاً، ففعل، فأكله ونصب القدر، فلما اغبرت قال: اغرف لي منها قطعاً ففعل، وأكلها ثم قال: اطرح فيها دقة وأطعمني منها، ففعل، ثم قال: ألق توابلها وأطعمني منها، ففعل، وأنا جالس أنظر إليه لا يدعوني، فلما استوفي اللحم كله قال: يا غلام أطعم أشعب، فرمى إلي برغيفين، فجئت إلى القدر فإذا ليس فيها إلا مرق وعظام، فأكلت الرغيفين، وأخرج له جراباً فيه فاكهة يابسة، فأخذ منها حفنة فأكلها، وبقي في كفه كف لوز بقشره، ولم تكن له فيه حيلة، فرمى به إلي وقال: كل هذا يا أشعب، فذهبت أكسر واحدة منه فإذا ضرسي قد انكسرت منها قطعة فسقطت بين يدي، وتباعدت أطلب حجراً أكسر به فوجدته فضربت به لوزة فطفرت علم الله مقدار رمية حجر وعدوت في طلبها، فبينا أنا في ذلك إذ أقبل بنو مصعب، يعني ثابتاً وإخوته، يلبون بتلك الحلوق الجهورية، فصحت بهم: الغوث الغوث بالله وبكم يا آل الزبير، الحقوني أدركوني، فركضوا إلي،

فلما رأوني قالوا: مالك ويلك؟ قلت: خذوني معكم تخلصوني من الموت، فحملوني معهم، فجعلت أرفرف بيدي كما يفعل الفرخ إذا طلب الزق من أبويه، فقالوا: مالك ويلك؟ قلت: ليس هذا موضع الحديث، زقوني زقوني ما معكم، فقد مت ضراً وجوعاً منذ ثلاث، فأطعموني حتى تراجعت نفسي وحملوني معهم في محمل ثم قالوا: أخبرنا بقصتك، فحدثتهم وأريتهم ضرسي المكسورة، فجعلوا يضحكون ويصفقون فقالوا: ويحك من أين وقعت على هذا؟ هذا من أبخل خلق الله وأدناهم نفساً. فحلفت بالطلاق أني لا أدخل المدينة ما دام له بها سلطان، فلم أدخلها حتى عزل[1].

إذن نوفرهما عليك:

قال الوليد لأشعب: تمن؟ فقال أشعب: يتمنى أمير المؤمنين ثم أتمنى؟ فقال الوليد: إنما أردت أن تغلبني، إني أتمنى ضعفي ما تتمنى، فقال أشعب: إني أتمنى كفلين من العذاب، قال: إذن نوفرهما عليك.

هذا يحرق الفؤاد:

قال أشعب: بلغني مكان عبد الله بن عمر في مال له يتصدق بثمرته. فركبت إليه بأصحابي ووافيته في ماله، فقلت: يا بن أمير المؤمنين، ويا ابن الفاروق أوقر لي بعيري هذا تمراً، فقال: أمن المهاجرين أنت؟ قلت: اللهم لا، قال: أفمن الأنصار؟ قلت: اللهم لا، قال: أفمن التابعين بإحسان؟ فقلت: أرجو، فقال لي: إن يحق رجاؤك أفمن أبناء السبيل أنت؟ قلت: لا، قال: فعلام أوقر لك بعيرك تمراً؟ قلت لأني سائل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن أتاك السائل على فرس فلا ترده، قال: لو شئنا أن نقول لك إنه قال: " إن أتاك على فرس " ولم يقل أتاك على بعير، لقلنا، ولكن أمسك ذلك لاستغنائي عنه لأني قلت لأبي عمر بن

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1 /252.

الخطاب رضي الله تعالى عنه: إذا أتاني سائل على فرس أعطيه؟ قال: إني سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما سألتني عنه، فقال: نعم، إذا لم تصب راجلاً؛ ونحن أيها الرجل نصيب رجالة، فعلام أعطيك وأنت على بعير؟ فقلت له: بحق أبيك الفاروق وبحق الله عز وجل وبحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما وقرت لي بعيري. فقال عبد الله: أنا أوقره لك تمراً، وحق الله وحق رسوله لئن عاودت استحلافي لا أبررت لك قسمك، ولو أنك اقتصرت على إحلافي بحق أبي في تمرة أعطيكها لما أنفذت قسمك لأني سمعت أبي يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:**"لا تشدوا الرحال إلى مسجد لرجاء الثواب إلا إلى المسجد الحرام ومسجدي يثرب:**، ولا يبر أحد قسم مستحلفه إلا أن يستحلفه بحق الله وحق رسوله. ثم قال للسودان في ذلك المال: أوقروا بعيره تمراً. قال: فلما أخذ السودان في حشو الغرائر قلت: إن السودان أهل طرب، وإن أطربتهم أجادوا حشو غرائري. فقلت: يا بن الفاروق أتأذن لي في الغناء فأغنيك؟ فقال لي: أنت ورأيك. فاندفعت في النصب، فقال لي: هذا الغناء الذي لم نزل نعرفه، ثم غنيته صوتاً لطويس:

خليلي ما أخفي من الحب باطن ::: ودمعي بما قلت الغداة شهيد

قال، فقال لي عبد الله: يا هنه، لقد جددت في هذا الغناء ما لم يكن. قال: ثم غنيته لابن سريج قوله:

يا عين جودي بالدموع السفاح ::: وابكي على قتلى قريش البطاح

فقال لي: يا أشعب، هذا يحنق الفؤاد، أراد: هذا يحرق الفؤاد، لأنه كان ألثغ لا يبين الراء ولا اللام؛ قال أشعب: فكان لا يراني بعد ذلك إلا استعادني هذا الصوت[1].

أظننت أنه يذبحك؟:

ودعا الحسن بن الحسن علي أشعب فأقام عنده، وكان عند الحسن شاة،

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 2 /488.

فقال لأشعب: أنا أشتهي أن آكل من كبد هذه الشاة، فقال له أشعب: بأبي أنت وأمي. أعطنيها وأنا أذبح لك أسمن شاة بالمدينة، فقال له: أخبرك أني أشتهي كبد هذه الشاة وتقول لي أسمن شاة بالمدينة؟ اذبح يا غلام، فذبحها وشوي له من كبدها وأطايبها فأكل. وقال من غد: يا أشعب، أنا أشتهي من كبد نجيبي هذا لنجيب عنده ثمنه ألوف دراهم فقال له أشعب: في ثمن هذا والله غناي، فأعطنيه وأنا والله أطعمك من كبد كل جزور بالمدينة. فقال: أخبرك أني أشتهي كبد هذا وتطعمني من غيره؟ يا غلام، انحر، فنحر النجيب وشوى كبده فأكلا. فلما كان اليوم الثالث قال له: يا أشعب، أنا والله أشتهي أن آكل من كبدك؛ قال: سبحان الله! أتأكل أكباد الناس؟ قال: قد أخبرتك، فوثب أشعب فرمى بنفسه من درجة عالية فانكسرت رجله، فقيل له: ويلك، أظننت أنه يذبحك؟ فقال: والله لو أن كبدي وجميع أكباد العالمين اشتهاها لأكلها. وإنما فعل الحسن ما فعل حيلة على أشعب وتوطئة للعبث به[1].

هما جورب وقلنسوة:

قال أشعب لفقيه: ما تقول في صلاة صليتها في ثوبين؟ قال: هي جائزة في ثوب فكيف في ثوبين؟ قال: هما جورب وقلنسوة.

لله دركم يا أهل مكة، ماذا أعطيتم!:

قال إسحاق بن يحيى بن طلحة: قدم جرير بن الخطفي المدينة ونحن يومئذ شبان، فطلب الشعراء فاحتشدنا له ومعنا أشعب، فبينا نحن عنده إذ قام لحاجة وأقمنا لم نبرح، ويجيء الأحوص بن محمد الشاعر من قباء على حمار، فقال: أي هذا؟ قلنا: قد قام لحاجة فما حاجتك إليه؟ قال: أريد والله أن أعلمه أن الفرزدق أشرف منه وأشعر، قلنا له: ويحك، لا تعرض له فانصرف. وخرج جرير، فلم يك بأسرع من أن أقبل الأحوص، فوقف عليه فقال: السلام عليك، فقال جرير: وعليك السلام، فقال: يا بن الخطفي، الفرزدق أشرف منك وأشعر، قال جرير: من هذا أخزاه الله!

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 3 /21.

قلنا: الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، فقال: نعم، هذا الخبيث ابن الطيب، أنت القائل: من الطويل:

يقَــرُّ بعــيني مــا يقــرُّ بعَيْنــها ::: وأَحسنُ شيءٍ ما بــه العــينُ قَــرَّتِ

فقال: نعم، قال: فإنه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر، أفيقر ذاك بعينك؟ وكان الأحوص يرمي بالحلاق، فانصرف فبعث إليه بتمر وفاكهة. وأقبلنا على جرير نسأله وأشعب عند الباب وجرير في مؤخر البيت، فألح عليه أشعب يسأله، فقال: والله إني لأراك أقبحهم وجهاً، وأراك ألأمهم حسباً، قد أبرمتني منذ اليوم، فقال: إني والله أنفعهم وخيرهم لك، فانتبه جرير وقال: ويحك، وكيف ذاك؟ قال: إني أملح شعرك وأجيد مقاطعه ومبادئه، قال: قل، ويحك! فاندفع أشعب فتغنى بلحن لابن سريج في شعره:

يا أُخْتَ ناجيــةَ الســلامُ علــيكم ::: قَبْلَ الرحيــلِ وقَبْــلَ لــومِ العُــذّلِ
لو كُنتُ أَعلــمُ أَنَّ آخِــرَ عهــدكم ::: يومُ الرحيــلِ فعلــتُ مــا لم يُفْعَــلِ

فطرب جرير وجعل يزحف حتى مست ركبته ركبته، وقال: لعمري لقد صدقت، إنك لأنفعهم لي، وقد حسنته وأجدته وزينته، أحسنت والله! ووصله وكساه. فلما رأينا إعجاب جرير بذلك الصوت قال له بعض أهل المجلس: فكيف لو سمعت واضع هذا الغناء؟ قال: وإن له لواضعاً غير هذا؟ قلنا: نعم، قال: وأين هو؟ قلنا: بمكة، قال: فلست بمفارق حجازكم حتى أبلغه. فمضى ومضى معه جماعة ممن يرغب في طلب الشعر في صحابته وكنت فيهم. فقدمنا مكة فأتيناه بأجمعنا فإذا هو في فتية من قريش كأنهم المها مع ظرف كثير، فرحبوا وأذنوا وسألوا عن الحاجة، فأخبرناهم الخبر، فرحبوا بجرير وأدنوه وسروا بمكانه، وأعظم عبيد بن سريج موضع جرير وقال: سل ما تريد جعلت فداك، قال: أريد أن تغنيني لحناً سمعته بالمدينة أزعجني إليك، قال: وما هو؟ قال:

يا أُخْتَ ناجيةَ السلام عليكم

فغناه ابن سريج وبيده قضيب يوقع به وينكت، فو الله ما سمعنا شيئاً قط أحسن من ذلك، فقال جرير: لله دركم يا أهل مكة، ماذا أعطيتم! والله لو أن نازعاً نزع إليكم ليقيم بين أظهركم يسمع هذا صباح مساء لكان أعظم الناس حظاً ونصيباً، ومع هذا بيت الله الحرام، ووجوهكم الحسان، ورقة ألسنتكم وحسن شارتكم، وكثرة فوائدكم[1].

ووفى عبد الله لأشعب بالمائة دينار:

وقال إسحق: حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري، قال: كان عبد الله بن عمرو بن عثمان يلي صدقات عثمان بن عفان رضي الله عنه وأحباسه وأوقافه وله أخٌ من أبيه يقال له عثمان بن عمرو ويلقب ب(خرا الزنج) سفيه مخنَّث مهتوك، فقيل له: ويلك أخوك من الجلالة والفضل على ما قد عَلِمه الناس، وهو يلي صدقات جدِّك، وأنت سفيه مهتوك، فلو لزمت المسجد واستقام مذهبك، جُعلت لك يدٌ مع أخيك، ولعلها كانت تفضي إليك بعده، وجعل قومٌ يحسدون عبد الله ويغرون أخاه بذكر هذا، وكان عبد الله أجمل أهل زمانه وكان يلقب " قبة الديباج "، فذكر الماجشون قال: كان الناس يختلفون إليه وإلى عبد الله بن عبد الله بن عباس وهما بالمسجد يتأملون حسنهما ويزعمون أنهما أجمل أهل زمانهما فلزم " خرا الزنج " المسجد والصلاة والجماعة والقراءة حتى عُرف بالخير، ثم خاصم أخاه عبد الله عند القاضي وكان القاضي سيئ الرأي في عبد الله فوجد " خرا الزنج " أن يدخل يده مع عبد الله في الوقف، ولم يأمنه عبد الله أن يفعل، لِلذي بينهما من الخلاف، فضاق به أمره، وكان يمزح مع أشعب، وجاءه أشعب فرآه مغموماً، فقال: ما لك يا سيدي يا بن الشهيد، فعرَّفه، فقال: إن احتلت الآن لتصرفه عن رأيه فلك مائة دينار، فإنه يقبل منك لما بينك وبينه، فقال له أشعب: كفيتُك، وجاء أشعب حتى أتاه في المسجد فقال له: ويلك ما هذا الشؤم الذي ألزمته نفسك، ما لك

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 3 /65.

وللصلاة والقراءة ولزوم المسجد، تركت اللهو والطرب والغناء وشرب النبيذ والأكبار والنايات والطبول، فقال له: " خرا الزنج " : ويلك أنا أُخاصم عبد الله أخي في الوقف وقد وعدني القاضي أن يدخل يدي مع يده، فإذا فعل رميت بهذا كله وعدت إلى كل شيءٍ تعرف فلا تغتَّم، قال: فاحتل عليَّ في يومٍ واحدٍ تذكرني به أيامنا، قال: والله ما عند في هذا الوقت شيءٌ، قال له أشعب: فأنا أستلف لك من فلان التاجر مائة دينار، قال: فافعل ذلك، فمضى أشعب إلى التاجر فقال: قد علمت أن " خرا الزنج " يأخذ منك الدرهم بعشرة، وغداً يُدخل القاضي يدَه مع أخيه فلا يذهب لك عليه درهم واحد، فقد احتاج إلى مائة دينار تعامله عليها، فعرف التاجر الخبر بما ذاع عن القاضي فأعطاه المال وخرج " خرا الزنج " إلى قصره بالعرصة وأمر بفسطاط فضرب له هناك، وقال لأشعب: ويلك هل علم بنا أحد، قال: لا وحق أبيك الطيب، قال: اذبحوا لنا كذا، واطبخوا لنا كذا، فقال أشعب: يا سيدي أي شيء تأكل إلى أن يُدرك هذا الطعام؟ فإن: انتظاره يطول علينا، قال: ما تشتهي، قال: الرؤوس، قال: ويلك إن بعثت غلاماً لي إلى السوق في ابتياع الرؤوس لم آمن أن يسأل أحدٌ عنا فيخبر بموضعنا ويتصل بالقاضي فلا يتم ما نؤمله فقال له أشعب: فأنا يا سيدي أتلطف وآتيك بكل ما تحتاج إليه من غير أن يعلم أحد، قال: فدونك فركب دابةً وركض إلى السوق فأرهج السوق واشترى كل رأسٍ فيه، وجعل أهل السوق ينكرون ذلك لكثرة ما اشترى منها، فيقال له: ويلك يا أشعب ما تصنع بهذه كلها فيقول: لابن الشهيد، لأنه أخرجنا إلى النزهة في قصره بالعرصة ومعنا الأكبار والطبول والنايات والعيدان والمخانيث وكل شيء طيب فملأ به الدنيا، ومر أشعب بعبد الله بن عمرو فقال له: وافِني وقت كذا بمن قدرت عليه من العدول إلى قصر أخيك بالعرصة؛ ووافى أشعب بالرؤوس فقال: يا سيدي ما علم بنا أحدٌ من خلق الله، فقال: أحسنت ولطفت، فأكلوا وقدَّموا النبيذ وتضمَّخوا بالخلوق

ولبسوا المصبغات والحُلي والشنوف؛ ثم أرسل عبد الله إلى أهل المسجد وأهل الفضل ووجوه الناس فقال: إن أخي عثمان تحامل عليَّ في حائطٍ بيني وبينه ولست آمن أن يقع بيننا اختلاف فأحبّ أن تحضروا معي حتى تحملوني وإياه على الحق. فأسرع الناس معه وجعل " خرا الزنج " يقول لأشعب: ويلك غنِّني، فيغنيه من أجود أغاني الناس، لابن سُريج ومعبد ومالك ابن أبي السمح و " خرا الزنج " يقول له: دعني من هذا يا ابن الفاعلة ويعطف على من معه من المخانيث ويقول: شدوا طبولكم وانفخوا في السريانات وغنوا معي، وارهجوا الأكبار والطبول والسريانات، وجعلوا يغنون معه:

يا أُم حوفزانة ::: هيٍّ لنا الأتانة

فما زالوا على هذا حتى هجم عليهم عبد الله بن عمرو ومن معه من الفقهاء والعدول وفي عنق عثمان وهو خرا الزنج كبرٌ، وفي عنق أشعب طبل وقد سكرا، فقال عبد الله للعدول: هذا الذي يريد القاضي أن يدخل يده معي في الوقف، فقال القوم: كلاّ والله، ما ذلك له، ولا هذا الرجل بأهلٍ أن يؤمن على نفسه فكيف يُؤمن على مال غيره، قبَّح الله هذا. فالتفت " خرا الزنج " إلى أشعب وقال: ماذا صنعت يا بن الزاني، قتلني الله إن لم أقتلك فقال أشعب: يا مشؤوم، قد علمتك أنك متحوفز إلى النار حين جعلت تقترح عليَّ يا أُم حوفزانة، وقال للقوم: احملوني معكم وإلا قتلني، وجعل يحدثهم حديثه وهم يضحكون و " خرا الزنج " يعدو خلف دوابهم ويصيح: ردّوا عليَّ نديمي والقوم يلعنونه ويخنثونه حتى دخلوا المدينة فلقوا القاضي فأعلموه ما رأوا ولاموه في أمر عبد الله فعاد إلى إجلاله وتعظيمه وطرد " خرا الزنج " وإبعاده ووفى عبد الله لأشعب بالمائة دينار[1].

(1) الرقيق القيرواني، قطب السرور في اوصاف الخمور، ص 39.

* * *